توجيه النص القرآني في ضوء حروف المعاني حروف الجر مثالا

م.د. أحمد حسين عبد السادة

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

مدخل

غير خاف أثر اللغة العربية – بنحوها وبلاغتها – في فهم القرآن الكريم، بل جعل العلماء المعرفة بلسان العرب من أهم الشروط المطلوبة لمن أراد أن يفسر القرآن، ويستنبط منه الأحكام، ومن بين مباحث علم العربية، مبحث معاني الحروف أو حروف المعاني، قال الزركشّي (ت794هـ): "والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها"[1]، وذكر السيوطي (ت911ه)هذه الحروف تحت عنوان (الأدوات التي يحتاج إليها المفسر)قائلا: "وأعني أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها"[2] ومن أوسع تلك الحروف من حيث تعدد معانيها، حروف الجر، إذ أثرت دلالات تلك الحروف في توجيه النص القرآني من جهات مختلفة، وقد نبه على ذلك أكثر المفسرين، إذ اختلاف المفسرين في تحديد دلالات حروف الجر مفض إلى اختلافهم في توجيه النص القرآني، فإذا كان النص القرآني مشتملا على أحكام شرعية أدى ذلك إلى اختلافهم في بيان تلك الأحكام.

وسنقف على أمثلة قرآنية نتتبعها في كتب المفسرين نبين فيها قدر اختلافهم بناء على تعدد دلالات حروف الجر.

1 - إلى

ولها ثمانية معان(3): انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية – وهو أصل معانيها – وبمعنى (مع)، والتبيين، وموافقة (اللام)، وموافقة (في)، والابتداء بمعنى موافقة (من)، وزائدة للتوكيد، وأضاف إليها الهروي (4) معنى آخر وهو الإلصاق، أي موافقة الباء(5). وقد وردت في القرآن الكريم (743)مرة [6]

ومن أمثلتها في النص القرآني الذي اختلف في توجيهه:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[7].

اختلف توجيه المفسرين لهذا النص القرآني تبعا لاختلافهم في تحديد دلالة حرف الجر (إلى)في هذا النص، وحاصل أقوالهم في معنى حرف الجر (إلى)ثلاثة وجوه، هي:

1 - إن حرف الجر (إلى)مضمّن معنى حرف جر آخر.

2 - أن حرف الجر (إلى)مضمّن معنى الإضافة.

3 - إن حرف الجر (إلى)لم يضمّن حرف جر آخر وإنما دلّ على الغاية المجردة وهو أصل معانيها.

وقد اختلف توجيههم للنص القرآني في كل وجه من هذه الوجوه:

أولا: إن حرف الجر (إلى)مضمّن معنى حرف جر آخر أو مضمّن معنى الإضافة.

لم يتفق اللغويون و المفسرون القائلين بتضمين حرف الجر (إلى)معنى حرف جر آخر، على حرف جر واحد، وإنما ذهبوا إلى ثلاثة أحرف، هي: (مع)و(في)و(اللام).

1 - تضمين حرف الجر (إلى)معنى (مع):

ذكر معظم المفسرين، إذا لم نقل جميعهم أن حرف الجر في هذه الآية مضّمن معنى (مع)، بيد أنهم اختلفوا في قبولهم هذا الوجه، أو الردّ عليه، أو الاكتفاء بعرضه، وسنكتفي ببيان رأي الذين تبنوه ووجهوا النص القرآني في ضوئه، والذين رفضوه وردوه:

القول إن (إلى) – في هذا النص – بمعنى (مع)مروي عن سفيان الثوري، والسدي، وابن جريج(8)، قال الفراء (ت207هـ): " وقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ المفسِّرون يقولون: من أنصاري مع الله، وهو وجه حسن. وإنما يجوز أن تجعل (إلى)موضع (مع)إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه،

كقول العرب: إن الذود إلى الذود إبل، أي إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلا. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى)، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ[9]﴾ معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم"[10]، و اختار الطبري (ت310هـ)هذا التوجيه وحسّنه قائلا: " وإنما حسن أن يقال: (إلى الله) بمعنى: (مع الله)؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما إلى الآخر إذا ضمّ إليه جعلوا مكان (مع)، (إلى)وأحيانا تخبر عنهما بـ (مع)"[11] وذكره الطوسي (ت460هـ)في أحد وجوه معنى (إلى) [12] واختاره أيضا السمرقندي: " يقول: من أعواني مع الله؟ قال القتبي [13] (إلى)ههنا بمعنى (مع) مثل قوله:﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ﴾ أي مع أموالكم"[14]، واختاره أيضا ابن أبي حاتم الرازي (ت327هـ)إذ فسر حرف الجر (إلى)هنا بالمعية فذكر بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: في قوله: (من أنصاري إلى الله)قال: من أنصاري مع الله"[15]

والملاحظ في هذا التوجيه أن المفسرين واللغويين لم يقولوا إن (إلى)بمعنى (مع) وكفى – سوى ما ورد في المأثور عن سفيان والسدي وجريج – وإنما أوردوا مثالا قرآنيا آخر أرادوا في ضوئه توضيح ما ذهبوا إليه وهو قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ﴾ إذ اشترطوا في (إلى)أن تحمل معنى الضم أو الإضافة، وهو معنى (مع) فإن لم تحتمل هذا المعنى لا يصح تقديرها بـ (مع)، قال الزجاج (ت311هـ): "و(إلى) ههنا إنما قاربت (مع)معنى بأن صار اللفظ لو عبر عنه بـ (مع)أفاد مثل هذا المعنى، لا أن (إلى)في معنى (مع)لو قلت: ذهب زيد إلى عمرو لم يجز: ذهب زيد مع عمرو؛ لأن (إلى)غاية، و(مع)تضم الشيء إلى الشيء، فالمعنى: يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله، وقولهم: إن (إلى)في معنى (مع) ليس بشيء، والحروف قد تقاربت في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناهما واحد"[16].

والملاحظ أن بعض المفسرين الذين قالوا: إن (إلى)بمعنى (مع)من دون تفصيل أو توضيح يتوهم في قولهم أنهم يقولون أن معناهما واحد، ولذا سارع المفسرون إلى بيان الفارق الدلالي بينهما فقالوا: إنهما يشتركان بمعنى الضم أو الإضافة ومع هذا التوضيح والتبيين استعمل هؤلاء لفظ (مع) كما ذكرنا في بعض أمثلتهم سابقا، في حين لم يستعمله آخرون ومنهم الزمخشري

(ت538هـ)حين قال: "و (إلى الله)من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة، كأنه قيل: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني، كما ينصرني"[17]، وقد نحا البيضاوي[18] (ت685هـ)منحى الزمخشري فقال: "ويجوز أن يتعلق الجار بـ (أنصاري)مضمنا معنى الإضافة، أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى في نصري"[19]، وهو ما قاله المراغي في تفسيره أيضا[20].

إن تضمين الإضافة في حرف الجر (إلى)في هذه الآية كان مقبولا عند من ينكر أن (إلى)بمعنى (مع)بيد أنه اشترط أن يكون معناه الغاية من دون تقدير (مع)ومنهم ابن عطية (ت546هـ)إذ ردّ هذا التوجيه بقوله: "وقوله: (إلى الله)يحتمل معنيين... والمعنى الثاني: أن يكون التقدير من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي؟ فيكون بمنزلة ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ﴾ فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى (مع)، ونعم إن (مع)تسد في هذه المعاني مسد (إلى)لكن ليس يباح من هذا أن يقال إن (إلى)بمعنى (مع)وهذه عجمة، بل (إلى)في هذه الآية غاية مجردة"[21].

وقال الحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ)"والمعنى في قوله تعالى: (مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ)من يضيف نصرته إلى نصرة الله، و(إلى)في هذا أبلغ من (مع)؛ لأنك لو قلت: من ينصرني مع فلان لم يدل على أن فلانا وحده ينصرك، ولابدّ، بخلاف (إلى)فإن نصرة ما دخلت عليه محققة واقعة، مجزوم بها، إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرة فلان"[22].

وقد ردّ السيد الطباطبائي هذا التوجيه سواء أكانت (إلى)بمعنى (مع)أم كانت مضمنة الإضافة، بقوله: "وأما ما احتمله بعض المفسرين من كون (إلى)بمعنى (مع) فلا دليل عليه، ولا يساعد أدب القرآن أن يجعله تعالى في عداد غيره فيعد غير الله ناصرا كما يعده ناصرا، ولا يساعد عليه أدب عيسى (عليه السلام)اللائح مما يحكيه القرآن من قوله تعالى: (قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ)، أيضا لا يساعد عليه إذ كان من اللازم على ذلك أن يقولوا: (نحن أنصارك مع الله)فليتأمل"[23].

2 - تضمين حرف الجر (إلى)معنى (في)

القائلون بهذا الوجه عدد قليل من المفسرين بيد أن الرازي (ت604هـ)- بعد أن ذكر وجوه معنى (إلى)- ذكر أنه قول الحسن البصري قائلا: "تقدير الآية، من أنصاري في سبيل الله، و (إلى)بمعنى (في)

جائز وهذا قول الحسن" [24] بيد أني وجدت في بعض التفاسير أن ما نسب إلى الحسن غير الذي ذكره الرازي ولاسيما في تفسيري الطوسي والطبرسي (ت548هـ)وهما متقدمان عليه " قال الحسن: من أنصاري في السبيل إلى الله؟ لأنه دعاهم إلى سبيل الله" [25] وعلى هذا تكون (إلى)دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها، وليس بمعنى (في)كما ذكر الرازي، فهناك فرق كبير في التقديرين بين أن تقول: من أنصاري في سبيل الله، ومن أنصاري في السبيل إلى الله، على أن التقدير الثاني ذُكِرَ في أكثر من تفسير وإن لم ينسب إلى الحسن، بخلاف التقدير الأول الذي لم يذكره سوى الرازي منسوبا إلى الحسن، أما البيضاوي (ت691ه)فقد اكتفى بالإشارة إلى تضمين (إلى)معنى (في) قائلا: " وقيل: (إلى)ههنا بمعنى (في)" [26] وأشار الآلوسي (ت1270هـ)إلى ذلك أيضا [27].

3 - تضمين حرف الجر (إلى)معنى (اللام)

القائلون بهذا الوجه عدد قليل من المفسرين وقد جعله الطوسي في الوجه الثالث منسوبا إلى الجبائي ومعللا هذا الوجه بقوله: " قال الجبائي: من أنصاري لله، كما قال: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَق) (28) ووجه ذلك أن العرض يصلح فيه (اللام)عن طريق العلة وإلى طريق النهاية، فإن قيل إن عيسى إنما بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم؟ قلنا للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة – في قول الحسن ومجاهد – وقال آخرون: يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة وإنما قاله ليتميز الموافق من المخالف" [29] وقد جعله الرازي في الوجه الخامس في معنى (إلى)من دون أن يرجحه أو يعلله، إذ اكتفى بعرضه قائلا: " أن يكون (إلى) بمعنى (اللام)كأنه قال: من أنصاري لله؟ نظير قوله تعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَق)" [30] وذكر أبو حيان هذا الوجه مع نسبته إلى أبي علي الفارسي (ت377ه)قائلا: "قال أبو علي الفارسي معنى: إلى الله: لله، كقوله: (يَهْدِي إِلَى الْحَقّ، أي للحق)" [31] وأشار الآلوسي – بعد أن ذكر ما قاله المفسرون في معنى (إلى)في هذه الآية – إلى هذا المعنى قائلا: "فالسالم عن هذا الحمل من التفاسير مع اشتماله على قلّة الإضمار أولى، ومن هنا اختار بعضهم كون (إلى)بمعنى (اللام)... كأنه (عليه السلام)طلب منهم أن ينصروه لله تعالى لا لغرض آخر مدمجا أن نصرة الله تعالى في نصرة رسوله، وجوابه المحكي عنهم بقوله سبحانه: (قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ

أَنْصارُ اللَّهِ)، شديد الطباق له، كأنهم قالوا: نحن ناصروك؛ لأنه نصر الله تعالى للغرض الذي رمز إليه، ولو قالوا مكانه: نحن أنصارك لما وقع هذا الموقع. وأنت تعلم أنّ جعل (إلى) بمعنى (اللام) أو (في) التعليليتين يحصل طلبة المسيح التي أشير إليها على وجه لعله أقل تكلفا مما ذكر" [32] فالآلوسي وجد في الوجوه الكثيرة التي ذكرها المفسرون في بيان معنى (إلى) أنها لا تخلو من التقدير والإضمار وهو مما يشوبه التكلف، فالمعنى عنده مع قلّة الإضمار أولى؛ لذا اختار أن يكون معنى (إلى) قريب من معنى (اللام) أو (في) مشيرا إلى أن هذا الوجه وإن اشتمل على شيء من التكلف فهو أقل تكلفا مما ذكره الآخرون وأكثر انسجاما وتلاحما ومطابقة مع جواب هذا السؤال المحكي عنهم (نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ).

ثانيا: إنّ حرف الجر (إلى) لم يضمّن حرف جر آخر وإنما دلّ على الغاية المجردة وهو أصل معانيها.

ذكر هذا الوجه عدد كبير من المفسرين بيد أنهم وإن اتفقوا في دلالة حرف الجر (إلى) على الغاية فقد اختلفوا في توجيه النص القرآني ولاسيما في تقدير المضمر فيه على أقوال:

1 - ذهب فريق منهم إلى أن حرف الجر (إلى) متعلق بمحذوف وقع حالا، وعلى هذا يكون تقدير الآية: من أنصاري متوجها إلى الله، أو ملتجئا إليه، أو ذاهبا إليه؟ وممن ذكر ذلك من المفسرين [33] الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والشوكاني [34] (ت 1250هـ)، والآلوسي.

2 - ذهب فريق آخر إلى تقدير محذوف يبقي حرف الجر (إلى) دالا على الغاية، وعلى الرغم من اختلافهم في تقدير هذا المحذوف إلاّ أن المعنى العام للنص القرآني يكاد يكون متقاربا ومن ذلك: ما ذكره ابن عطية " وقوله (إلى الله) يحتمل معنيين، أحدهما: من ينصرني في السبيل إلى الله؟ فتكون إلى دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها" [35] وقد ذكرنا فيما سبق أن هذا التوجيه ينسب إلى الحسن [36]، أو ما ذكره الطبرسي بقوله: "من أعواني على إقامة الدين المؤدي إلى الله؟" [37] أو ما اختاره ابن كثير (ت774ه) بقوله: "فالظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟" [38] وبه قال محمد عبده: "(قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ) أي توجه عيسى (عليه السلام) إلى البحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته تاركين لأجلها كل ما يشغل عنها منخلعين عمّا كانوا فيه متحيزين ومنزوين إلى الله منصرفين إلى تأييد رسوله ونصره على خاذليه والكافرين بما جاء به (قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ) أي أنصار دينه" [39].

والملاحظ أن هذه التقديرات وإن اختلفت في الكلمات فإن معناها واحد فلا فرق بين السبيل، والدين، والدعوة.

ومن أمثلتها التي اشتملت على حكم شرعي قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ)[40].

اختلف المفسرون في توجيه هذا النص القرآني تبعا لاختلافهم في بيان معاني حرف الجر (إلى)وذلك على قولين:

1 - حرف الجر (إلى)بمعنى (مع)

2 - حرف الجر (إلى)لانتهاء الغاية.

ومن يطّلع على آراء المفسرين في توجيه هذا النص القرآني يجد فيها أثر الفقه واضحا، لا لأن هذا النص مشتمل على حكم شرعي فحسب، بل لأن هذا الحكم مُختَلف فيه بين المذاهب الإسلامية، إذ غسل اليد في الوضوء يشتمل على أمرين هما: كيفية الغسل، وحدّ الغسل، ولذا حاول معظم المفسرين الانتصار لمذهبهم الفقهي عن طريق توجيه النص القرآني.

1 - **(إلى)بمعنى (مع):**

نقل الطبرسي عن الواحدي أن " كثيرا من النحويين يجعلون (إلى)هنا بمعنى (مع)، ويوجبون غسل المرافق، وهو مذهب أكثر الفقهاء"[41] والظاهر أن تقدير النحويين (إلى)بمعنى (مع)هو لغرض إدخال المرافق في الوضوء، نظرا لكثرة الروايات عن النبي (ص)أنه كان يغسلهما إذا توضأ، إذ لم يجعلوها لانتهاء الغاية؛ لأنهم يرون أن انتهاء الغاية ظاهر في انتفاء دخول ما بعدها وهو ما ذكره الآلوسي بقوله: " ومنهم من حكم بظهور انتفاء الدخول، وعليه النحويون"[42]، وحكي عن الشافعي أنه قال: لا أعلم خلافا في أن المرافق يجب غسلها، ولذا قيل (إلى) بمعنى (مع)كما في قوله تعالى (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ)[43] و (مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ).....وأمثال ذلك كثيرة [44].

2 - **حرف الجر (إلى)لانتهاء الغاية:**

رفض عدد من اللغويين والمفسرين أن تكون (إلى)بمعنى (مع)وذهبوا إلى أنها تفيد الغاية لا غير، ومنهم الزجاج بقوله: "فذكر الحدّ في الغسل إلى المرافق، واليد من أطراف الأصابع إلى الكف ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرافق، فالمفرق متقطع مما لا يغسل ودخل فيما يغسل، وقد قال بعض أهل اللغة معناه مع المرافق، واليد المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديكم مع المرافق، لم تكن في المرافق فائدة، وكانت اليد كلها يجب أن تغسل، ولكنه لما قيل: إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حدّ المرفق.... فالمرفق حدّ ما ينتهي إليه في الغسل منها، وليس يحتاج

إلى تأويل (مع)"[45] وقد وافق الزجاج في تعليله هذا عدد من المفسرين كالطبرسي، والبيضاوي والسيد الطباطبائي[46].

وتوجيه النص القرآني على أن (إلى) بمعنى (مع) أو أنها لانتهاء الغاية يترتب عليه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: سبب القول: إن (إلى) بمعنى (مع) هو لغرض إدخال المرافق في الوضوء لأن النبي (ص) كان يدخلهما فيه، فهؤلاء يرون أن (إلى) لو كانت لانتهاء الغاية لما صح أن تدخل المرافق في الوضوء؛ لأن الغاية لا يصح أن يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها، لذا حاولوا أن يوفّقوا بين دلالة النص القرآني وبين ما ورد عن النبي (ص) وهو إدخال المرافق في الوضوء من غير أن ينقضوا هذه القاعدة فأوّلوا (إلى) بمعنى (مع).

وقد ردّ السيد الطباطبائي ذلك التوجيه بقوله: "وربما ذكر بعضهم أن (إلى) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ﴾ وقد استند في ذلك إلى ما ورد في الروايات أن النبي (ص) كان يغسلهما إذا توضأ، وهو من عجيب الجرأة في تفسير كلام الله، فإن ما ورد في السنة في ذلك إما فعل والفعل مبهم ذو وجوه فكيف يسوغ أن يحصل بها معنى لفظ من الألفاظ حتى يعد ذلك أحد معاني اللفظ؟ وإما قول وارد في بيان الحكم دون تفسير الآية، ومن الممكن أن يكون وجوب الغسل للمقدمة العلمية أو مما زاده النبي (ص) وكان له ذلك كما فعله (ص) في الصلوات الخمس على ما وردت به الروايات الصحيحة"[47].

المسألة الثانية: القائلون إن (إلى) لانتهاء الغاية اختلفوا في دخول ما بعدها - وهو المرافق – في حكم ما قبلها، قال الزركشي (ت745ه): "واختلف في دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على مذاهب:

أحدها: لا تدخل إلا مجازا؛ لأنها تدل على غاية الشيء ونهايته التي هي حدّه، وما بعد الحد لا يدخل في المحدود، ولهذا لم يدخل شيء من الليل في الصوم في قوله تعالى: (أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ)[48].

الثاني: عكسه، أي أنه يدخل ولا يخرج إلاّ مجازا بدليل آية الوضوء.

والثالث: إنها مشتركة فيهما لوجود الدخول وعدمه.

والرابع إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها أو جزءا كالمرافق دخل وإلاّ فلا"[49].

فالذين ذهبوا إلى وجوب غسل المرفقين في الوضوء [50] منهم من ذهب إلى أن الأصل في الغاية في الحدّ أنه داخل في المحدود[51].

ومنهم من ذهب إلى أن ما بعدها إن كان من جنس ما قبلها يدخل احتياطا وإلاّ فلا، قال ابن عطية: "وتحرير العبارة في هذا

المعنى أن يقال: إن كان ما بعد (إلى)ليس مما قبلها فالحدّ أول المذكور بعدها، وإذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطي أن الحدّ المذكور بعدها؛ ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل"[52]

ومنهم من ذهب إلى أن ما بعدها محتمل للدخول والخروج إلاّ أن الاحتياط هو الذي أخذ بالعلماء إلى أن يحكموا بدخولها في الغسل [53].

وأما الذين ذهبوا إلى عدم وجوب غسل المرفقين [54] فمنهم من قال إن ما بعد (إلى) لا يدخل في حكم ما قبلها، ومنهم من قال بأن ما بعدها محتمل الدخول فيما قبلها، ويحتمل عدم الدخول ولم يأت دليل على الدخول، فنأخذ بالأصل وهو عدم الدخول[55].

وذهب فريق ثالث إلى أن النص القرآني لم يحدد وجوب غسل المرفقين من عدمه، بل الذي يحدد ذلك أمر خارج النص وهو السنة النبوية ويمكننا أن نتلمس ذلك في ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: "(إلى)تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل... وقوله: (إلى المرافق)و(إلى الكعبين)لا دليل فيه على أحد الأمرين"[56]، فأصبحت الآية مجملة في ذلك، والسنة هي التي تبين الحكم وقد ورد عن النبي (ص)أنه كان يدخلهما، وقد وافقه الجصاص في ذلك [57]، وقريب منه ما ذكره البيضاوي بقوله: "وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية"[58] وهو ما ذهب إليه السيد الطباطبائي أيضا بقوله: "وأما دخول مدخول (إلى)في حكم ما قبله أو عدم دخوله فأمر خارج عن معنى الحرف، فشمول حكم الغسل للمرافق لا يستند إلى لفظة (إلى)بل إلى ما بينته السنة من الحكم"[59].

المسألة الثالثة: لما كانت (إلى)لانتهاء الغاية فإن ذلك يقتضي أن يكون الغسل يبدأ من أطراف الأصابع وينتهي إلى المرفقين، وقد نقلنا ذلك عن الزجاج فيما سبق.

بيد أن السيد الطباطبائي وإن وافق الزجاج في أن (إلى)لا تكون بمعنى (مع) للعلة التي ذكرها، لكنه أضاف أن غسل اليد بعد التحديد مطلق غير مقيد بالغاية، قائلا: "وقد تبين أن قوله: (إلى المرافق)قيد لقوله: (أيديكم)فيكون الغسل المتعلق بها مطلقا غير مقيد بالغاية يمكن أن يبدأ فيه من المرفق إلى أطراف الأصابع وهو الذي يأتي به الانسان طبعا إذا غسل يده في غير حال الوضوء من سائر الأحوال أو يبدأ من أطراف الأصابع ويختم بالمرفق، لكن الأخبار الواردة من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تفتي بالنحو الأول دون الثاني، وبذلك يندفع ما ربما يقال: إن تقييد الجملة بقوله: (إلى

المرافق)يدل على وجوب الشروع في الغسل من أطراف الأصابع والانتهاء إلى المرافق، ووجه الاندفاع أن الإشكال مبني على كون قوله: (إلى المرافق)قيدا لقوله: (فاغسلوا) وقد تقدم أنه قيد للأيدي، ولا مناص منه لكونه مشتركا محتاجا إلى القرينة المعينة، ولا معنى لكونه قيدا لهما جميعا. على أن الأمة أجمعت على صحة وضوء من بدأ في الغسل بالمرافق وانتهى إلى أطراف الأصابع كما في المجمع [60]، وليس إلاّ لأن الآية تحتمله، وليس إلاّ لأن قوله: (إلى المرافق) قيد للأيدي دون الغسل"[61].

2 - الباء

وهي ضربان زائدة وغير زائدة، فأما غير الزائدة فقد ذكر لها النحويون ثلاثة عشر معنى [62]: (الإلصاق – وهو أصل معانيها- التعدية، الاستعانة، السببية أو التعليل، المصاحبة، الظرفية، البدل، المقابلة، المجاوزة، الاستعلاء، التبعيض، القسم، بمعنى (إلى» وقد وردت في القرآن الكريم (2517)مرة [63].

ومن أمثلتها في النص القرآني الذي اختلف في توجيهه:

قوله تعالى:(إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَد وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ)[64]

اختلف توجيه المفسرين لهذا النص القرآني تبعا لاختلافهم في تحديد دلالة حرف الجر (الباء)في قوله تعالى: (فَأَثابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ)، وحاصل أقوالهم في معنى حرف الجر (الباء)أربعة وجوه، هي:

1 - الباء تفيد السببية.

2 - الباء تفيد الجمع فيحتمل أن تكون بمعنى (مع)أو (إلى)أو (على).

3 - الباء تفيد المقابلة.

4 - الباء تفيد البدل.

وقد اختلف توجيههم للنص القرآني في كل وجه من هذه الوجوه، فضلا عن ذلك إن اختلافهم في تعيين دلالة حرف الجر (الباء)جعلهم يختلفون في أشياء أخر منها: إن (الغم)المذكور أهو ثواب ونعمة أم عقاب ونقمة؟ وعلى ذلك وجب تعيين دلالة الفعل (أثابكم)وتعيين فاعله أهو الله عز وجل أم النبي محمد (ص)؟ومنها: أهذا الغم واحد أم هو غم مضاف إلى غم، أي غمين متتابعين، وعلى ذلك وجب تعيين دلالة حرف الجر (الباء)، وتعيين هذين الغمّين الأول والثاني.

الباء تفيد السببية:

ذكر عدد كبير من المفسرين هذا الوجه بيد أنهم اختلفوا في تعيين السبب الذي أدى

بهم إلى هذا الغم:

أ - إن سبب ذلك هو مخالفتهم النبي (ص)وعصيانهم له؛ مما أدى إلى غمه فجزاهم الله بذلك غما [65]. وعلى هذا الوجه يكون الغم عقوبة لهم ونقمة عليهم من الله عزّ وجل، لذا تأولوا الفعل (أثابكم)بما يناسب ذلك فقالوا: وسمي الغم ثوابا على معنى أنه القائم في هذه النازلة مقام الثواب وهذا قوله:

تَحِية بَيْنَهُم ضَرْبٌ وَجيعُ

وكقول الآخر:

أَخَافُ زِيَاداً أَنْ يَكُونَ عَطَاؤه
أداهم سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا

فجعل القيود والسياط عطاء أي أن العطاء عقوبة66 وقالوا أيضا: " إنما قيل في الغم ثواب؛ لأن أصله ما يرجع من الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية ثم كثر في جزاء الطاعة كما قال الشاعر:

وأَرَانِي طَرَباً فِي إِثْرِهِم
طَرَبَ الوالِهِ أو كالمُخْتَبِل

فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على فعلهم، وهزيمتهم " [67]

ب - إن الضمير في (أثابكم)يعود للرسول (ص)

وعلى ذلك فتوجيه النص يختلف عن سابقه وإن كانت (الباء)للسببية، قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون الضمير في (فأثابكم)للرسول، أي: فآساكم في الاغتمام، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما، غمه ما نزل بكم، فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم، كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله، ولا على ما أصابكم من غلبة العدوّ"[68] وعلى ذلك يكون الغم ثوابا فالفعل (أثابكم)معناه حقيقي لا مجازي.

وردّ أبو حيان هذا الوجه بقوله: "وهو خلاف الظاهر؛ لأن المسند إليه في الأفعال السابقة هو الله تعالى، وذلك في قوله:(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ)وقوله:(ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ. وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ. والله)فيكون قوله:(فأثابكم)مسنداً إلى الله تعالى. وذكر الرسول إنما جاء في جملة حالية نعى عليهم فرارهم مع كون من اهتدوا على يده يدعوهم، فلم يجيء مقصوداً لأن يحدث عنه، إنما الجملة التي ذكر فيها في تقدير المفرد إذ هي حال."[69]

2 - إن الباء تفيد الجمع والإضافة فيحتمل أن تكون بمعنى (مع)أو (على):

ذكر هذا الوجه معظم المفسرين بيد أن بعضهم أشاروا إلى اجتماع الغمّين من دون أن يقدروا حرف الجر (الباء)بحرف

جر آخر أو يعينوا دلالته، من ذلك قول الفراء: "(غما بغم)ما أصابهم يوم أحد من الهزيمة والقتل ثم أشرف عليهم خالد بن الوليد بخيله فخافوه، وغمهم ذلك"[70] وقال الزمخشري: "غما مضاعفا، غماً بعد غم، وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله (ص)، والجرح، والقتل، وظفر المشركين، وفوت الغنيمة، والنصر"[71] في حين ضمّن بعضهم حرف الجر (الباء)حرف جر آخر يدل على اجتماع الغمّين قال الطبري: "وأما قوله (غما بغم) فمعناه: غما على غم كما قيل: (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)[72] بمعنى ولأصلبنكم على جذوع النخل... فكان كذلك معنى (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ)؛ لأن معناه: فجزاكم الله غما بعقب غم تقدمه، وهو نظير قول القائل: نزلت ببني فلان، ونزلت على بني فلان، وضربته بالسيف وعلى السيف"[73]

وذهب أبو حيان إلى أن هذا التوجيه هو تفسير للمعنى لا تفسير للإعراب؛ لأن (الباء) لا تكون بمعنى (بعد)أو (إلى)وإنما إذا أريد الجمع بين الغمّين ينبغي أن تكون بمعنى المصاحبة إذ هو أحد معانيها، فالمعنى: "غما مصاحبا لغم، فيكون الغمان إذ ذاك لهم"[74] وقد عبر بعض المفسرين عن هذه المصاحبة بقولهم: إن (الباء)بمعنى (مع)[75]. ومن ثم اختلف المفسرون في بيان هذين الغمّين أو في ترتيبهما[76].

3 - الباء تفيد البدل:

أشار عدد من المفسرين إلى هذا الوجه بيد أن توجيههم للنص القرآني بناء على معنى البدلية مختلف ذكر ابن عطية: (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ)الذي أوقع على أيديكم بالكفار يوم بدر... فالباء باء معادلة كما قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال"، ومعنى المعادلة ليس في معاني (الباء)لذا ذهب أبو حيان إلى أن هذا التوجيه يجعل (الباء)سببية بقوله: " وإن كانت الباء للسبب وهي التي عبر بعضهم عنها أنها بمعنى الجزاء، فيكون الغم الأوّل للصحابة، والثاني قال الحسن وغيره: متعلقه المشركون يوم بدر، والمعنى: أثابكم غماً بالغم الذي أوقع على أيديكم بالكفار يوم بدر"[77] ويبدو لي أن ابن عطية بتوجيهه هذا لم يرد معنى السببية؛ إذ ذكر معنى السببية من دون الإشارة لهذا التوجيه وإنما أراد معنى غيره أطلق عليه (المعادلة)وهو قريب من معنى المقابلة أو البدل وكلا المعنيين في معاني (الباء)، وأرى أن هذا التوجيه بعيد عن دلالة النص، إذ كيف يثيب الله عز وجل المسلمين غما عوض غمهم المشركين يوم بدر فهل هذا الغم ثواب أم عقاب إذ لا يصدق عليه أحد المعنيين.

ونقل الشيخ الطوسي توجيها للنص

بناء على أن (الباء)بمعنى البدل نسبه للحسين بن علي المغربي قال: "معنى (غما بغم)يعني غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم على حمراء الأسد، فجعل هذا الغم عوض غم المسلمين بما نيل منهم."[78] وعلى هذا يكون الغم الأول للمشركين بدل غمهم المسلمين يوم أحد من عدم إدراكهم النصر وفوت الغنيمة.

وذهب السيد الطباطبائي إلى أن (الباء) بدلية بيد أنه وجه النص توجيها يختلف عن سابقيه قائلا: "قوله تعالى فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الخ أي جازاكم غما بغم ليصرفكم عن الحزن على كذا وهذا الغم الذي أثيبوا به كيفما كان هو نعمة منه تعالى بدليل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فإن الله تعالى ذم في كتابه هذا الحزن كما قال: لكيلا تأسوا على ما فاتكم، فهذا الغم الذي يصرفهم عن ذاك الحزن المذموم نعمة وموهبة فيكون هو الغم الطارئ عليهم من جهة الندامة على ما وقع منهم والتحسر على ما فاتهم من النصر بسبب الفشل ويكون حينئذ الغم الثاني في قوله بغم، الغم الآتي من قبل الحزن المذكور والباء للبدلية والمعنى جازاكم غما بالندامة والحسرة على فوت النصر بدل غم بالحزن على ما فاتكم وما أصابكم. ومن الجائز أن يكون قوله أثابكم مضمنا معنى الابدال فيكون المعنى فأبدلكم غم الحزن من غم الندامة والحسرة مثيبا لكم فينعكس المعنى في الغمين بالنسبة إلى المعنى السابق. وعلى كل من المعنيين يكون قوله (فأثابكم)تفريعا على قوله (ولقد عفا عنكم)ويتصل به ما بعده أعني قوله (ثم أنزل عليكم)أحسن اتصال والترتيب أنه عفا عنكم فأثابكم غما بغم ليصونكم عن الحزن الذي لا يرتضيه لكم ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا[79].

أما الآيات القرآنية التي اشتملت على أحكام شرعية واختلف في توجيهها بناء على حرف الجر (الباء)نذكر بعضا منها من دون الخوض في تفصيلها خشية الإطالة، منها: قوله تعالى: (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ)[80]، وقوله: (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[81]، وقوله: (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ)[82]

3 - من

وهي ضربان زائدة وغير زائدة، فأما غير الزائدة فلها أربعة عشر معنى [83]: (ابتداء الغاية في المكان اتفاقا وفي الزمان، التبعيض، بيان الجنس، التعليل، البدل، المجاوزة بمعنى (عن)، الانتهاء، الغاية، الاستعلاء تضمين الفعل معنى (على)، الفصل، موافقة الباء، بمعنى (في)، موافقة (ربّ)، أن تكون للقسم. ولم يثبت أكثر

النحويين لـ (من) جميع هذه المعاني، وتأولوا كثيرا من ذلك على التضمين أو غيره، وذهب قسم منهم إلى أنها لا تكون إلاّ لابتداء الغاية وإن سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى. وقد وردت في القرآن الكريم كثيرا[84].

ومن أمثلتها في النص القرآني الذي اختلف في توجيهه:

(وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ)[85]

تكرر حرف الجر (من)في هذا النص ثلاث مرات اتفق المفسرون في تحديد دلالة (من) الأولى وأختلف في تحديد دلالة الثانية والثالثة وبناء على هذا الاختلاف تعددت توجيهاتهم للنص، قال الشوكاني: والحاصل أن (من)في (مِنَ السَّماءِ)لابتداء الغاية بلا خلاف، و(من)في قوله تعالى (مِنْ جِبالٍ) فيها ثلاثة أوجه، وأما (من)في (مِنْ بَرَدٍ) ففيها أربعة أوجه"[86]

ومن النظر في أقوال المفسرين نلحظ أن دلالات (من) تتمحور في ما يأتي:

1 - (من) الأولى لابتداء الغاية

2 - (من) الثانية لابتداء الغاية (بدل)، أو البيان، أو التبعيض، أو زائدة.

3 - (من) الثالثة للبيان، أو التبعيض، أو زائدة،

وخلاصة أقوال المفسرين تدور حول ثلاثة معان:

1 - إن جبال البَرَد نازلة من السماء، أي هي المفعول به.

2 - إن جبال البَرَد في السماء، والنازل منها محذوف يجب تقديره.

3 - إن الجبال في السماء والنازل منها هو البَرَد.

وفي كل معنى من هذه المعاني وجه النص القرآني وجوه عدة تتفق فيما بينها من جانب وتفترق في جوانب أخر.

المعنى الأول: إن جبال البَرَد نازلة من السماء، أي هي المفعول به.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) مشتملا على دلالات معينة:

1 - الأولى لابتداء الغاية والثانية والثالثة زائدة:

نسب هذا الوجه إلى الأخفش(ت 215ه)، وعند الرجوع إلى كتابه معاني القرآن نجده يقول: "وهو فيما فُسِّر: يُنَزِّلُ من السماءِ جبالاً فيها بَرَدٌ"[87] من دون الإشارة إلى أن (من)في الموضعين الثاني والثالث زائدة، في حين قال بعض المفسرين أن الأخفش يقول بزيادتهما [88] ووصف ابن

عطية هذا الوجه بالضعف [89] ومع ذلك اختلف توجيههم للنص بناء على زيادتها في الموضعين، قال القرطبي (ت671ه): "قال الأخفش: إن (من)في الجبال و(بَرَد) زائدة في الموضعين، والجبال والبَرَد في موضع نصب، أي: ينزل من السماء بَرَداً يكون كالجبال"[90]. فالمفعول به (من جبال)فالجبال بناء على هذا التوجيه تكون وصفاً للبَرَد أو تشبيها له، ووجه أبو حيان كلام الأخفش توجيها آخر، قال: "(مِنْ) الثانية والثالثة زائدتان وقاله الأخفش، وهما في موضع نصب عنده كأنه قال: وينزل من السماء جبالاً فيها أي في السماء برداً وبرداً بدل أي بَرَد جبال."[91] وبناء على هذا التوجيه كل من المجرورين في محل نصب أما الأول فعلى المفعولية لينزل وأما الثاني فعلى البدلية منه أي ينزل من السماء جبالاً برداً، وقيل: "المعنى وينزل من السماء قدر جبال، أو مثل جبال من برد إلى الأرض"[92]، فالمفعول به هو (جبال برد)وعلى ذلك تكون (جبال البرد)نازلة من السماء وليس فيها وفي هذا التوجيه جعل الضمير في (فيها) عائد على الجبال. فيصبح التقدير: ينزل من السماء جبالاً فيها بَرَداً. وقد نسب بعض المفسرين هذا الوجه إلى الفراء أي جعل قدر جبال برد نازلة من السماء وليس فيها، قال أبو حيان: "قال الفراء: هما زائدتان أي جبالاً فيها برد لا حصى فيها ولا حجر، أي يجتمع البرد فيصير كالجبال على التهويل فبرد مبتدأ و(فيها)خبره. والضمير في (فِيهَا)عائد على (الْجِبَالُ)أو فاعل بالجار والمجرور؛ لأنه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال"[93]، في حين نجد أن ما ذكره الفراء يذهب إلى أن قدر جبال البرد يكون في السماء وليس النازل منها على ما سنبينه لاحقا.

ويصدق هذا التوجيه أيضا على من ذهب إلى أن (من)الأولى لابتداء الغاية، والثانية زائدة، والثالثة لبيان الجنس، والتقدير: يُنَزِّل من السماءِ جبالاً من بَرَد [94].

2 - الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان

اختار عدد من المفسرين هذا الوجه [95]، وهذا الوجه لا يختلف عن سابقه سوى أن النازل بعض جبال البرد، وليس (جبال بَرَد)؛ لأن (من) الداخلة على (الجبال) أفادت التبعيض، أما جنس هذه الجبال فتكون من البرد، فـ(من) الثالثة في التوجيه السابق تكون زائدة، وهنا تكون لبيان جنس الجبال، ومع ذلك فالمعنى واحد، وهو: ينزل من السماء جبال بَرَد. أو بعض جبال البَرَد. فالمفعول به هو (من جبال) وحاول الطبري أن يؤكد دلالة (من) الثانية على التبعيض من خلال إيراد بعض النصوص القرآنية والقياس عليها، قائلاً: "والصواب

من القول في ذلك، إن من لا تدخل في الكلام إلا لمعنى مفهوم، وقد يجوز حذفها في بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة لدلالة ما يظهر من الكلام عليها، فأما أن تكون في الكلام لغير معنى أفادته بدخولها، فذلك... غير جائز أن يكون فيما صح من الكلام. ومعنى دخولها في قوله: (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) [96] للتبعيض إذ كانت الجوارح تمسك على أصحابها ما أحل الله لهم لحومه وحرم عليهم فرثه ودمه، فقال جل ثناؤه: فكلوا مما أمسكن عليكم جوارحكم الطيبات التي أحللت لكم من لحومها دون ما حرمت عليكم من خبائثه من الفرث والدم وما أشبه ذلك مما لم أطيبه لكم، فذلك معنى دخول (من)في ذلك"[97]، ومن أيضا قوله عزّ وجل: (وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) [98].

المعنى الثاني: أن جبال البَرَد في السماء، والنازل منها محذوف يجب تقديره.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) يشتمل على دلالات معينة:

1 - الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة للبيان.

أي: يُنزِّل من السماءِ من جبالٍ بَرَد فيها، حرف الجر (من) الأول والثاني يفيد ابتداء الغاية بيد أن الثاني بعض من الأول وإن شاركه في ابتداء الغاية فالسماء أوسع وأشمل من الجبال التي فيها؛ لأن كل ما علاك فهو سماء، أما الجبال فهي بعض ما في السماء، وذكر المفسرون هذين الوجهين في (من) الثانية واختيار أحد الوجهين لا يغير من دلالة النص القرآني كثيرا، فـ (من جبال)سواء أكانت بدلا (من السماء)أم بيانا لها فهي جهة الإنزال، أما (من)الثالثة فهي لبيان الجبال، أي جبال من بَرَد في السماء، ونحو هذا قول الفراء: "والمعنى، أن الجبالَ في السماء من بَرَدٍ خلقةٍ مخلوقة، كما تقول في الكلام: الآدميُّ من لحمٍ ودم، فـ (من)ههنا تسقط فتقول: الآدميُّ لحمٌ ودمٌ، والجبالُ بَرَدٌ. وكذا سمعت تفسيره"[99]. والفرق بين هذا المعنى وسابقه أن (جبال البَرَد)هي في السماء ويكون الإنزال منها وليست هي النازلة من السماء، لذا قيل أن هذه الجبال مخلوقة.

2 - الأولى لابتداء الغاية والثانية والثالثة للبيان

أي: (يُنزِّل من السماءِ من أمثال الجبال من البرد فيها)، فـ (من جبالٍ)بيان لما في السماء، أي أن فيها أمثال الجبال ومقاديرها وليس فيها جبال حقيقة، و(من بَرَد)بيان للجبال، فالجبال كناية عن كثرة البرد الموجود في السماء والضمير في (فيها)يعود على السماء لا الجبال، قال الفراء: "وقد يكون في العربية أمثال الجبال ومقاديرها من البَرَد، كما تقول: عندي بيتان تبناً، والبيتان

ليسا من التبن، وإنما تريد: عندي قدر بيتين من التبن، فمن هذا الموضع إذا أسقطت نصبت ما بعدها، كما قال: (أو عدل ذلك صياما)[100] وكما قال: (ملء الأرض ذهبا)[101]"[102]، وعمد الطبري والشيخ الطوسي إلى بيان هذا الوجه بقولهما " فيجيز حذف من (من بَـرَد)ولا يجز حذفها من الجبال، ويتأول معنى ذلك: وينزل من السماء من أمثال جبال برد، ثم أدخلت من في البرد؛ لأن البرد مفسر عنده عن الأمثال، أعني: أمثال الجبال، وقد أقيمت الجبال مقام الأمثال، والجبال وهي جبال برد، فلا يجيز حذف من (من الجبال)؛ لأنها دالة على أن الذي في السماء الذي أنزل منه البرد أمثال جبال برد، وأجاز حذف من (من البَرَد)؛ لأن البرد مفسر عن الأمثال، كما تقول: عندي رطلان زيتا، وعندي رطلان من زيت، وليس عندك الرطل وإنما عندك المقدار، فـ (من)تدخل في المفسر وتخرج منه. وكذلك عند قائل هذا القول: من السماء، من أمثال جبال، وليس بجبال"[103].

وقد يجد القارئ تطابقا بين هذا الوجه والوجه الأول الذي ذكرناه في المعنى الأول إذ كلاهما يجعل الجبال وصفا للبرد وكناية عن كثرته، بيد أننا نلفت نظره إلى أن هذين الوجهان وإن تطابقا من جهة الوصف إلا أنهما يختلفان من جهة المكان، فالوجه الأول يرى أن أمثال جبال البرد ومقاديرها نازلة من السماء إلى الأرض، في حين أن هذا الوجه يرى أن أمثال جبال البرد ومقاديرها هي التي في السماء وليست النازلة منها، ففي الوجه الأول المفعول به موجود وهو (جبال البرد) وفي هذا الوجه المفعول به محذوف. وذكر الزجاج هذا المعنى إلاّ أنه وجه النص بشكل آخر، قال: "ومعنى (مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ)من جبال برد فيها، كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى هذا خاتمٌ حديدٍ في يدي"[104] فعلى هذا يكون (مِن بَرَدٍ)في موضع الصفة لجبال، كما كان (مِن)في (من حديد)صفة لخاتم، فيكون في موضع جر ويكون مفعول (يُنَزّلِ)هو (من جِبَالٍ)وإذا كانت الجبال (مِن بَرَدٍ)لزم أن يكون المنزل برداً.

وفي الوجهين من هذا المعنى تجد أن المفعول به حاجة إلى تقدير، فـ(جبال البَرَد) سواء أكانت مخلوقة – بناء على الوجه الأول – أم كانت كناية عن كثرة البرد الذي في السماء، يبقى النازل منها محذوف؛ ولذا لجأ المفسرون إلى تقديره، فإن كانت هذه الجبال مخلوقة، قيل: خلق الله في السماء جبالا من برد، فهو ينزل منها بردا، وفيه إضمار، أي ينزل من جبال البرد بردا [105]، وإن كانت الجبال كناية عن كثرة البرد الذي في السماء، قيل: ويُنـزِّل من أمثال جبال البرد بردا،

فالمفعول به المقدر – بناء على الوجهين – هو (بَرَداً)، وذهب الطبري والشيخ الطوسي في تقدير المفعول به مذهبا آخر، قال: "إن كان أنزل من جبال في السماء من برد جبالا، ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الأولى في السماء جاز كما يقال: أكلت من الطعام يريد أكلت من الطعام طعاما، ثم يحذف الطعام، ولا يحذف (من)"[106]. فالمفعول به المقدر هو (جبال بَرَد)والتقدير: وينزل من السماء من أمثال جبال البَرَد جبالا من بَرَد.

وتبنى السيد الطباطبائي هذا الوجه قائلا: "السماء جهة العلو، وقوله: (من جبال فيها)بيان للسماء، والجبال جمع جبل وهو معروف، وقوله: (من بَرَد)بيان للجبال، والبَرَد قطعات الجمد النازل من السماء، وكونه جبالا فيها كناية عن كثرته وتراكمه، والسنا بالقصر الضوء. والكلام معطوف على قوله: (يزجي)، والمعنى: ألم تر أن الله ينزل من السماء من البرد المتراكم فيها كالجبال فيصيب به من يشاء فيفسد المزارع والبساتين وربما قتل النفوس والمواشي ويصرفه عمن يشاء فلا يتضررون به يقرب ضوء برقه من أن يذهب بالابصار"[107].

المعنى الثالث: أن الجبال في السماء والبَرَد نازل منها.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) يشتمل على دلالات معينة:

1 - الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبيين والثالثة زائدة

أي (يُنزِّل من السماءِ من جبالٍ فيها بَرَدا)هذا الوجه قريب من سابقه بيد أنه يجعل الجبال بيان لما في السماء وهو السحاب المتراكم فالجبال وصف للسحاب وليس للبرد النازل منها، فالمفعول به هو (من بَرَد)وقد ذهب الشريف الرضي إلى أن هذه الجبال الموجودة في السماء وإن لم تكن حقيقية كجبال الأرض إلاّ إنها استعيرت للسحاب تشبيها لها، قال: في (من جبالٍ فيها): "وهذه استعارة على بعض التأويلات؛ لأن الجبال هاهنا يراد بها السحاب الثّقال، تشبيها لها بكثائف أطوادها، ومشارف هضابها، ويكون الضمير في قوله سبحانه: (منْ جبالٍ فيها)عائدا على السماء لا على الجبال، فكأنّ التقدير: ويُنزِّل من جبالٍ من السماءِ من بَرَد، يريد من السحاب المشبهة بالجبال، وتكون الفائدة في قوله من جبال في السماء تخصيص تلك الجبال من جبال الأرض؛ لأنا لو جعلنا الضمير الذي فيها عائدا على الجبال أوهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء. فإذا جعلنا الضمير عائدا إلى السماء أمن الالتباس، وكان في ذلك أيضا تعجّب لنا من وصف جبال في السماء على طريق التشبيه؛ لأن الجبال على الحقيقة

لا تكون إلا في قرارات الأرض، وصفحات التّرب."[108] وهذا التوجيه يصدق أيضا على من ذهب إلى أن (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة.[109]

فهذا الوجه الذي قال به الرضيّ وتبعه آخرون يتفق من جهة مع الوجه السابق الذي قال به الفراء ومؤيدوه، ويفترق عنه من جهات أخرى، فأما جهات الاتفاق بينهما هي: أن الفراء والرضي ومن ذهب مذهبهما يتفقان على أن هذه الجبال هي ليست حقيقية، أي أنها ليست بمنزلة الجبال التي في الأرض، وأنها موجودة في السماء ولسيت نازلة منها، وأما جهات الافتراق أن الفراء يجعل الجبال صفة للبرد، والرضي يجعلها صفة للسحاب، ولهذا كان المفعول به عند الفراء محذوف يجب تقديره، أما عند الرضيّ فالمفعول به موجود وهو (البرد) لأنه هو النازل من سحاب يشبه الجبال. فضلا عن ذلك أن الفراء يقول: قدر جبال بَرَد في السماء ينزل منها البرد، فلا توجد مشابه بين البرد الذي في السماء وبين الجبال وإنما كناية عن الكثرة، أما الرضيّ فيرى أن السحاب المتراكم الذي ينزل منه البَرَد يشبه الجبال، وقد أخذ السيد قطب هذا المعنى قائلا: "إن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان، ثم تؤلف بينه وتجمعه فإذا هو ركام بعضه فوق بعض، فإذا ثقل خرج منه الماء والويل الهاطل، وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة، ومشهد السحاب كالجبال لا يبدو لنا كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد جبال حقا، بضخامتها ومساقطها وارتفاعها وانخفاضها، وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس إلا بعد ما ركبوا الطائرات"[110].

الأولى والثانية للابتداء والثالثة للتبعيض

وهذا الوجه لا يختلف عن سابقه سوى أن النازل بعض البرد؛ لأنه يجعل (من) الثالثة للتبعيض، والمعنى: يُنزِّل بعضَ البَرَد من السماءِ (من جبالٍ فيها)[111] وقريب من هذا الوجه ما نسبه الآلوسي للأخفش من أن (من) الأولى والثانية للابتداء والثالثة زائدة، والتقدير: ينزل بردا من السماء من جبال كائنة فيها [112]. وقد ذكرنا فيما سبق أن ما نسب إلى الأخفش هو زيادة (من) الثانية والثالثة.

وبعد هذا العرض نلحظ أن المفسرين تبنوا وجوها كثيرة أسفرت عن معان ثلاث، ولربما تداخلت هذه الوجوه وصعب التمييز بينها؛ لأنها تلتقي وتفترق فيما بينها في آن واحد، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا النص ينطوي على إعجاز علمي لم يدركه المسلمون إلاّ بعد عصور متطاولة [113].

أما الآيات القرآنية التي ورد فيها حرف الجر (من)وهي تشتمل على أحكام شرعية أختلف فيها فهي كثيرة وسنقتصر على ذكر بعض أمثلتها من دون الخوض في تفصيلاتها. من ذلك قوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[114] ومن ذلك قوله تعالى: (فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْه)[115]

الهوامش----------

(1) البرهان في علوم القرآن: 2 / 175.

(2)الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: 1 / 145.

(3)ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي: 385 – 390، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام: 1 / 104 – 105.

(4) هو علي بن محمد النحوي الهروي

(5) ينظر: الازهية في علم الحروف: علي بن محمد الهروي: 284.

(6) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: محمد حسن الشريف: 1 / 322 – 335.

(7) سورة آل عمران: 52.

(8) ينظر: تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله (ص)والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم الرازي: 659، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: 2 / 45. ومجمع البيان لعلوم القرآن: الطبرسي: 2 / 369، والبحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: 2 / 494.

(9) سورة النساء: 2

(10) معاني القرآن: الفراء: 1 / 218، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 386، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي: 3 / 175.

(11) جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري: 6 / 443.

(12) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: 2 / 473.

(13) هو أبو محمد عبد الله بن قتيبة القتبي الدينوري (ت270هـ)

(14) بحر العلوم: السمرقندي: 1 / 270.

(15) تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله (ص)والصحابة والتابعين: 3 / 659.

(16) معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: 1 / 416، وينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر الرازي: 8 / 69، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 2 / 369، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 3 / 175.

(17) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري: 173.

(18) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي

(19) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: 1 / 349.

(20) ينظر: تفسير المراغي: 3 / 163.

(21) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ابن عطية: 1 / 442.

(22) الجنى الداني في حروف المعاني: 386.

(23) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: 3 / 235.

(24) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر الرازي: 8 / 69.

(25) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: 2 / 473، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 2 / 369، وينظر:البحر المحيط: 2 / 494.

(26) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3 / 349.

(27) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 3 / 175.

(28) سورة يونس: 35.

(29) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: 2 / 473.

(30) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): 8 / 69.

(31) البحر المحيط: 2 / 494.

(32) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 3 / 175

(33) ينظر: الكشاف: 173، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب): 8 / 69، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1 / 349، وفتح القدير: الشوكاني: 1/ 519، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 3 / 175.

(34) وهو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن.

(35) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 442.

(36) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 2 / 473، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 2 / 369.

(37) مجمع البيان لعلوم القرآن: 2 / 370.

(38) ينظر: تفسير القرآن العظيم: 2 / 45.

(39) تفسير المنار: محمد رشيد رضا: 3 / 331 – 314.

(40) سورة المائدة: 6

(41) مجمع البيان لعلوم القرآن: 3 / 330.

(42) روح المعاني: 6 / 71.

(43) سورة هود، آية: 52.

(44) ينظر: مجمع القرآن لعلوم القرآن: 3: 331، وروح المعاني: 6 / 70.

(45) معاني القرآن وإعرابه: 2 / 153.

(46) ينظر: مجمع البيان: 3 / 330، وأنوار التنزيل: 2 / 116، والميزان في تفسير القرآن: 5 / 225.

(47) الميزان في تفسير القرآن: 5 / 225.

(48) سورة البقرة، الآية: 187.

(49) البرهان في علوم القرآن: 4 / 232.

(50) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: 1/43، المحرر الوجيز: 2/162، الكشاف: 280، أحكام القرآن: الجصاص: 1/320، أحكام القرآن: ابن العربي: 2/59، أنوار التنزيل: 3/ 220،

الجامع لأحكام القرآن: 6/86، تفسير القرآن العظيم: 2/25، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 1/310، معالم التنزيل: 2/17، لباب التأويل: 2/18، فتح القدير: 2/17، زاد المسير: ابن الجوزي: 2/300، مدارك التنزيل: النسفي: 1/395، مجمع البيان: 3/330، روح المعاني: 6:70، التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور: 6/130.

(51) ينظر: التحرير والتنوير: 6 / 130.

(52) المحرر الوجيز: 2 / 162.

(53) ينظر: الكشاف: 2280، مدارك التنزيل: 1 / 395.

(54) ينظر: جامع البيان: 6/134، والبحر المحيط: 3 / 450.

(55) ينظر: البحر المحيط: 3 / 450.

(56) الكشاف: 280.

(57) ينظر: أحكام القرآن: الجصاص:2 / 241

(58) أنوار التنزيل: 2 / 116.

(59) الميزان في تفسير القرآن.

(60) يريد بذلك كما ورد في تفسير مجمع البيان في علوم القرآن ينظر، مجمع البيان: 3 / 331.

(61) الميزان في تفسير القرآن: 5 / 225 – 226.

(62) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 36 – 45، ومغني اللبيب: 1 / 137 – 144.

(63) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: 2 / 454 – 496.

(64)سورة آل عمران آية: 153.

(65) ينظر: معاني القرآن: الزجاج: 1 / 479، والتبيان في تفسير القرآن: 3/ 22، ومجمع البيان: 2/ 419، والكشاف: 200، والمحرر الوجيز: 526، والبحر المحيط: 3 / 91، وتفسير البيضاوي: 2 / 43، وزبدة التفاسير: 1/577، وروح المعاني: 4/ 92، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي: 1 / 358.

(66) وينظر: جامع البيان: 4/ 179، التبيان في تفسير القرآن: 3 / 21، ومجمع البيان: 2/ 422، المحرر الوجيز: 1/ 526، والبحر المحيط: 3/ 90.

(67) التبيان في تفسير القرآن: 3 / 21، وينظر: ومجمع البيان: 2/ 422، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: 1 / 358.

(68) الكشاف: 200، والبحر المحيط: 3/ 91، وتفسير البيضاوي: 2 / 104.

(69) البحر المحيط: 3/ 91.

(70) معاني القرآن: الفراء: 1/ 240، وينظر: معاني القرآن: الزجاج: 1/ 479.

(71) الكشاف: 200، وينظر: البحر المحيط: 3/ 91، وتفسير البيضاوي: 2 / 43، وزبدة التفاسير: 1/577، والتفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: 1/ 178.

(72) سورة: طه: 71.

(73) تفسير الطبري: 7/ 304 – 305، والتبيان

في تفسير القرآن: 3 / 21، ومجمع البيان: 2/ 419.

(74) البحر المحيط: 3/ -90 91.

(75) ينظر: مجمع البيان:2/419، والمحرر الوجيز: 1/ 526، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: 1/ 358.

(76) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 4/ 180 – 183.، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله (ص)والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم الرازي: 791. وروح المعاني: 4/ 92.

(77) البحر المحيط: 3 / 91.

(78) التبيان في تفسير القرآن: 3: 22، ومجمع البيان: 2/ 420.

(79) الميزان في تفسير القرآن: 4 / 47.

(80) سورة النساء: 43.

(81) سورة المائدة: 6.

(82) سورة المائدة: 6.

(83) ينظر: الجنى الداني: 308 – 315.

(84) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: 1040 – 1103.

(85) سورة النور: 43.

(86) فتح القدير: 4 / 57.

(87) معاني القرآن: الأخفش: 276، ينظر: جامع البيان: 6 / 133، التبيان في تفسير القرآن: 3 / 441.

(88) الجامع لأحكام القرآن: 12 / 289، معاني القرآن: النحاس: 4 / 544، البحر المحيط: 6 / 427.

(89) والمحرر الوجيز: 4 / 190.

(90) الجامع لأحكام القرآن: 12 / 289.

(91) البحر المحيط: 6 / 427، وينظر: روح المعاني: 18 / 190.

(92) الجامع لأحكام القرآن: 12 / 289. وينظر: المحرر الوجيز: 4 / 190، ومعالم التنزيل: 3 / 351، وتفسير السمرقندي: 2/ 517،

(93) البحر المحيط: 6 / 427، وينظر: روح المعاني: 18 / 190.

(94) ينظر: معالم التنزيل: 3 / 351،

(95) جامع البيان: 6 / 133، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: 3 / 442، 7 / -446 447، وجوامع الجامع: الطبرسي: 2 / 626، والكشاف: 732، والمحرر الوجيز: 4 / 190، والبحر المحيط: 6 / 427، ومعالم التنزيل: 3 / 351.

(96) سورة المائدة: 4.

(97) جامع البيان: 6 / 134، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: 3 / 442، معاني القرآن: الأخفش: 276.

(98) سورة البقرة: 271.

(99) معاني القرآن: الفراء: 2 / 257-256، ينظر:جامع البيان: 18/ 205، والتبيان في تفسير القرآن: 3 / 442، ومعاني القرآن: الأخفش: 276، والمحرر الوجيز: 4 / 190،

ومعالم التنزيل: 3 / 351، وروح المعاني: 18 / 191.

(100) سورة المائدة: 95.

(101) سورة آل عمران: 91.

(102) معاني القرآن: الفراء: 2 / 257-256، وينظر: معاني القرآن: الزجاج: 4 / 49.

(103) جامع البيان: 6/ 134، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: 3 / 441.

(104) معاني القرآن: الزجاج: 4 / 49، وينظر: معاني القرآن: النحاس: 544، والبحر المحيط: 6: 427،

(105) جامع البيان: 6 / 133، 18/ 205، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 12 / 289، والتبيان في تفسير القرآن: 3 / 442، 7 / -446 447، ومجمع البيان: 7 /258 - 259، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: 110، والمنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ابن ادريس الحلي: 150، وزبدة التفاسير: 4 / 522.

(106) التبيان في تفسير القرآن: 3 /442.

(107) نفسه: 15 / 137.

(108) تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي: 246، وينظر: متشابه القرآن ومختلفه: ابن شهرآشوب: 2 / 268، والأمثل: 11 / 128،

(109) ينظر: البحر المحيط: 6: 427، ومعالم التنزيل: 3 / 351.

(110) في ظلال القرآن: 19 – 20/ 109 – 110.

(111) تفسير جوامع الجامع: الطبرسي: 2 / 626, وينظر: الكشاف: 732، والبحر المحيط: 6 / 427، وروح المعاني: 18 / 190.

(112) ينظر: روح المعاني: 18 / 190.

(113) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي: 174.

(114) سورة آل عمران: 104، و(منكم)فيه حرف جر (من)وقد احتملت دلالتين: إما التبيين أو التبعيض، وكلاهما تحتاج إلى أدلة للترجيح.

(115) سورة المائدة: 6، انقسمت المذاهب الإسلامية في معنى الصعيد على فريقين بسبب زيادة (منه) فقال الإمامية والحنفية والمالكية إن هذه الزيادة لا تؤثر على الإطلاق، وقال الشافعية والحنبلية: مطلق خصص بقرينة. إذ احتملت ثلاث دلالات هي: ابتداء الغاية المكانية، أو بيان الجنس، أو التبعيض، وهذه جميعا تحتاج إلى أدلة للترجيح

المصادر

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي(911ه)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص(ت370ه)، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه.
- أحكام القرآن: الشافعي (ت204هـ)، جمعه: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(ت458ه)، تحقيق: د. عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- أحكام القرآن: محمد بن عبد الله المعرف بابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر بيروت، (د.ت).
- الازهية في علم الحروف: علي بن محمد النحوي الهروي (ت401ه)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، 1391ه – 1971م.
- آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي (ت 1352ه)، مطبعة العرفان، صيداء، 1352ه – 1933م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1424ه.
- بحر العلوم: أبو الليث السمرقندي، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1416ه.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745ه)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1422 ه – 2001 م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376ه – 1957م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460ه)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (ت1393ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م
- التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني (ت1091ه)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط1، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، 1418ه.

تفسير جوامع الجامع: الطبرسي (ت 548ه)، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1420ه.

- تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم (تفسير المنار): السيد محمد رشيد رضا(ت1354ه)، ط2، دار المنار، القاهرة – مصر، 1366ه – 1947م.

- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(774ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420ه – 1999م.

- تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله (ص)والصحابة والتابعين: عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي ابن أبي حاتم (ت327ه)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1417ه – 1997م.

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي(ت606ه)، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1425ه.

- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365ه – 1946م.

- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي (ت406ه)، حققه وقدم له وصنع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، ط1، دار إحياء الكتب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهره، 1374ه – 1955م.

- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت310ه)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420ه – 2000م.

- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي(ت671ه)، تحقيق: أبو إسحق إبراهيم أطيفش، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1405ه – 1985م.

- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (749ه)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، ط1، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، 1413ه – 1992م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (1270ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).

- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت597ه)، ط3، المكتب الإسلامي، 1404ه.

- زبدة التفاسير: الملا فتح الله الكاشاني (ت 988ه)، ط1، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم – إيران، 1423ه.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني(1200ه)، دار الفكر بيروت، (د.ت).

- القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت538ه)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1430ه - 2009م.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير

بالخازن، طبع معه تفسير البغوي (معالم التنزيل)دار الفكر، بيروت، 1399ه.

- متشابه القرآن ومختلفه: ابن شهرآشوب (ت 588ه)، مكتبة البو ذر جمهري، طهران، 1328ه.

- مجمع البيان لعلوم القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548ه)، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، 1378ه - 1958م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546ه)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، 1422ه - 2001م.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد النسفي(ت710ه)، ط1، دار النفائس، 1416ه.

- معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت 215ه)، تدقيق: د. هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1411ه - 1990م.

- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207ه)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).

- معاني القرآن: النحاس (ت 338ه)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1409ه.

- معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحق إبراهيم بن السِّري الزجاج (ت 311ه)، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1408ه - 1988م.

- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: محمد حسن الشريف، ط1، مؤسسة الرسالة، 1417ه - 1996م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام النصاري (ت 761ه)، حققه وعلّق عليه: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط1، مؤسسة الصادق، طهران، 1378ه.

- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ابن إدريس الحلي (ت598ه)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، ط1، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، 1409هـ.

- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط1، منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، قم - إيران، 1425ه - 2004م.

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي، ط1، دار القلم، دمشق - بيروت، 1415ه.

دلالة البنية الزمنية في رواية

الخلاصة :

يتناول هذا البحث رواية جعلت ميدانها حقبة زمنية غاية في التأزم الناتج من اختلاف الاوضاع المحيطة بها، فبعد التغيير الذي حدث بعد 2003/4/9 ظهرت إشكاليات اجتماعية متنوعة، واستطاعت القوى والتيارات والفعاليات الاجتماعية التي كانت مكبوتةً أن تتنفس وأن تعرض قيمها ورؤاها التي كان من الطبيعي أن تصب باتجاهات متغايرة نتيجة لعدم الاتساق في رؤية واحدة، وعدم الاتفاق على مشروع وطني جامع، ومن هنا نستطيع تفسير التداعيات الكبيرة التي أصبحت نتائجها كارثية على الفرد العراقي.

ولقد حاولت رواية (فرانكشتاين في بغداد) الاقتراب من زمن الموت والجدب والانهيار الثقافي للمجتمع، عن طريق محاكاة تقترب من الواقع، حيث قامت بتوظيف عناصره الأولية في صياغة خطابها التخييلي، وقد حاولنا ملاحقة ايقاع الزمن ودوره في بناء شخصيات الرواية ببعديه الخارجي المشكل لإطار الأحداث، والداخلي الذي يتحكم بمعمار الرواية، محاولين أن نستجلي دلالة التركيب في تغير السلوك والقيم لدى الشخصيات، ومعرفة دلالة البنية التي جاء الزمن على وفقها وكذلك الوظيفة التي أداها القالب الفني ومدى نجاعتها.